المحاضرة الثالثة 3ــــــ

نولدكه وتطبيق المنهج الفيلولوجي التاريخي على القرآن الكريم

(أ). مصدر القران والوحي الذي تلقاه محمد :

اشتهر هذا المستشرق الألماني الذي سبق ترجمته، بكتاب تحت عنوان " تاريخ القرآن" باللغة الألمانية، وترجم إلى اللغة العربية، وقد تميز هذا الكتاب بصيغته التطورية، والتي ساهم فيها تلامذة نولدكه، وهو مثال على روح البحث العلمي المتميزة بالتواصل والتعاون فيما بين الأجيال، وكذلك العمل الجماعي، وهذا ما يميز أعمال ألأمان في جميع ميادين الحياة. وربما يعتبر هذا من سر نجاحهم وتقدمهم عن غيرهم.

حاول فيه هذا الفريق أن يظهر بالمظهر العلمي الموضوعي الغير متحيز، والذي يخفي عقيدته المسيحية بغطاء البحث العلمي المتجرد من كل ذاتية، إلا أننا سنلاحظ أن كل ذلك غائب، وإن ما يميز عمل هؤلاء هو المراوغة وزرع السم في العسل، وستبين لكم ذلك من خلال هذا التحليل المختصر، لأن الوقت لا يكفي لتتبع كل المطاعن المستترة من وراء أسلوب المدح.

لم يشكك " **نولدكه**" في صدق النبي، بل اعتبره نبيا حقا، وأنه كان مستغرقا تماما بالدعوة، حيث أمن بأن الله اصطفاه من أجل تبليغها وهداية قومه إلى الإيمان بالله، وتمتع بشخصية قوية جعلته يؤمن بحقيقة ما دعي إليه، وإيمانه بنبوته وذكاءه العملي الشديد مكناه من التجريد المنطقي، مما جعله يعتبر ما حرك نفسه أمرا موحى به منزلا من السماء، واعتبر هذه الغريزة التي تحركه صوت الله الذي يقوم عليه الإسلام، **فأعلن عن سور أعدها بتفكير واع بواسطة** استخدام قصص **من مصادر غريبة مثبتة وكأنها وحي حقيقي من الله**، وبما أنه لم يكن في وسعه الفصل بين الروحانيات والدنيويات، فغالبا ما استعمل سلطة القران ليفرض أمورا لا علاقة لها بالدين مع عدم إغفال الترابط القوي الذي كان عليه الدين ونظام المجتمع، **فالنبي استقى معارفه من الكتابات العقائدية والميتورجيا (الأساطير) ، وليس من الكتاب المقدس**، **فالقصص المستقاة من العهد القديم تشبه الهجادا والأخرى المستقاة من العهد الجديد أسطورية الطابع وتشبه ما يسر في الأناجيل المنحولة، فالمصدر الرئيس للوحي الذي نزل على النبي حرفيا هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية، وتعاليم محمد في جلها ذات أصل يهودي كما هي تعاليم عيسى عليه السلام، مثالا على ذلك:**

-(1).الشهادة: التي هي بالأصل مستقاة من عبارة يهودية من كتاب صموئيل الثاني(22-32):" لأنه من هو إله غير الرب".

(2) .التهجد: وبعض أشكال الصلاة ووصف الوحي بالفرقان مشتق من اللغة الآرامية المسيحية.

(3).تشابه السور كتشابه ما ورد في سورة مريم الآية 17 بإنجيل الطفولة الفصل الأول... كما نجد جملة قصيرة جدا اقتبست حرفيا من العهد القديم في سورة الأنبياء اية 35:" **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون"**

(4). الاستشهاد بالشعر العربي: ويضيف أن مشاهير شعراء القرن الذي سبق ظهور الإسلام يشي تفكيرهم وتقويمهم للأمور بأنهم كانوا يلمون بالمسيحية رغم أنهم حافظوا على وثنيتهم، لذا وجب الأخذ بعين الاعتبار التأثير المسيحي على النبي إلى جانب التأثير اليهودي، أي أن الإسلام في جوهره دين يقتفي اثار المسيحية وهو الصيغة التي دخلت بها المسيحية إلى بلاد العرب كلها، ويؤكد هذا الربط بسهولة الأحكام الصادرة عن أشخاص عاصروا محمد صلى الله عليه وسلم وهو ما يفسر لجوء بعض أتباع النبي الى ملك الحبشة المسيحي.

(ب).أمية النبي صلى الله عليه وسلم:

(1). تطرق تيودور إلى الحجج التي تؤيد أن محمد صلى الله عليه وسلم كان لا يستطيع القراءة والكتابة واعتبرها واهية، كما أن جعل جملة **" النبي الأمي"** تعني نقيض "**أهل الكتاب"،** وهذا يفيد أن المراد بالكلمة ليس عكس القادرين على الكتابة، بل عكس من يعرفون الكتاب المقدس كما ورد في سورة البقرة الآية 73 انه ثمة حتى بين اليهود أميون لا يفهمون من الكتاب المقدس إلا قليلا، أي أن محمدا لم يكن يعرف الكتب المقدسة القديمة بل عرف الحقيقة بواسطة الوحي بالقران.

(2).ثم عرض ملاحظة المستشرق **"فلهاوزن"** التي تقول:

(كيف لرجل وجد في محيطه عشرات من الرجال الذين استطاعوا القراءة والكتابة ألا يعلم بها، وبوصفه تاجر من أجل تسجيل البضائع والأسعار والأسماء).

(3). يستعرض رأي المستشرق شبرنغر : الدي يرى أن محمدا عالم بالكتب وأنه قرأ كتابا حول العقائد والأساطير بعنوان – أساطير الأولين – وهو الوصف الذي أطلقه بنو قريش على قصص محمد وتعاليمه المفيدة روحيا، وأضاف أن صحف إبراهيم هي الآيات 36 و37 من سورة النجم والآية 19 من سورة الأعلى

(4). رجح تيودور أن محمدا قد تلقى أهم أجزاء تعليمه من اليهود والمسيحيين شفويا كما جاء في سورة الفرقان:{وقال الذين كفروا ان هذا افك افتراه وأعانه عليه قوم اخرون} والمعنيون هم معاصرو النبي سلمان وورقة ويسار وبلعام، ليخلص بالقول أن مصادر تعاليم محمد كانت الاعتقادات الدينية التي اعتنقها قومه أما الطقوس والممارسات في الكعبة والحج فقام بتعديلها لتلائم تعليمه معيدا إياها الى أصول إبراهيمية كما بدل قصص الأنبياء اليهود ونصب نفسه (محمد رسول الله) ووضع نفسه في مرتبة أسمى من نوح وإسرائيل ولوط وموسى وهارون وعيسى وادعى لنبوته معنى ختاميا بأنه (خاتم النبيئين.)

ظاهرة الوحي

(1). أنواع الوحي

سرد تيودور مجموع الأنواع التي يأتي بها الوحي والذي لا يقصد به القرآن فحسب بل كل الهام تلقاه النبي وكل أمر إلهي وجه إليه، وهي كما جاء في كتاب المواهب أللدنية:

(1) الحلم

(2) وحي جبريل في روع النبي

(3) جبريل في هيئة رجل (دحية بن خليفة الكلبي)

(4) صليل الجرس

(5) جبريل في صورته الحقيقية والتي ظهر فيها مرتين فقط،

(6) الوحي من السماء كما ترتيب الصلوات

(7) الله نفسه من وراء حجاب

(8) الله كاشفا عن نفسه.

(9). وأضاف آخرون جبريل في هيئة إنسان أخر، والله ذاته مظهرا نفسه لمحمد في الحلم.

(2). كيفيات الوحي

ثم يشرح نولدكه أدوار هذه الكيفيات كما يلي:

ــــــ **الكيفية الثالثة** ظهرت في العام الخامس للهجرة.

ــــــ **الكيفية والسادسة** من رواية الإسراء والمعراج.

ـــــــــ **الكيفيةوالخامسة** : تفسير أخر لما جاء في سورة التكوير والنجم.

ــــ **الكيفية الرابعة** : فقد روي أن محمدا كثيرا ما اعترته نوبة شديدة لدى تقبله الوحي وكان يخفض رأسه ويشحب وجهه أو يشتد احمراره ويتفصد جبينه عرقا حتى في أيام الشتاء وهذه النوبة نتيجة لمعاناة محمد نوعا من الصرع كما سبق للبيزنطيين أن زعموا، وبما أن الغيبوبة كانت تعتريه فجأة حين كان غارقا في تفكير عميق، فقد اعتقد أن قوة إلهية كانت تحل فيه ولم يكن الوحي يتضح له إلا بعد أن يفارقه الملك، أي بعد عودته إلى وعيه الكامل إثر اضطراب شديد. كما أن هذا الوضع الجسدي والنفسي المضطرب إلى درجة المرض يفسر الأحلام والرؤى التي رفعته فوق مستوى العلاقات البشرية كما في الكيفية الأولى الشيء الذي يجعل من الإسراء والمعراج مجرد حلم، والشكل الادبي الذي عبر بواسطته النبي عن مضمون الوحي متأثر بقوة السكرة النبوية على أسلوب الكاتب، وحين ضعف الثوران النفسي الهائل مع مرور الوقت صارت السور أكثر هدوء حيث كانت في البداية تحركها طاقة شعرية معينة وأضحت بشكل تدريجي أقل خفة. ثم أضاف أن النبي معلم ومشرع لا غير.

كما استبعد أن يكون محمد باعتباره متفوقا وواثقا من نفسه أن يكون تابعا لأحد معاصريه، أو أن يكون هناك توافق خداعي بينه وبين شخص آخر، لكنه أكد أن النبي استمد وحيه من العبرية ككلمة سورة التي تعني بالعبرية سلسلة، وكلمة قران المقصود بها مقرا، من قرأ –أملى –أدى –تلا وفي الأصل السرياني قرا قريانا أي أن المصطلح لم يتطور في اللغة العربية بل الكلمة مأخوذة عن تلك الكلمة السريانية ومطبقة في الوقت نفسه على وزن فعلان فرقان. كما استعمل نوعا من الشعر اسمه السجع وهو كلام مجزأ إلى أجزاء قصيرة، يتبع اثنان منها أو أكثر قرينة واحدة، على ألا تلفظ المقاطع الصوتية التي تأتي في ختام الأجزاء المختلفة بحسب القواعد الدقيقة المتبعة في قوافي الشعر، بل باتباع علامات الوقف واتخاذ قرينة أكثر تحررا من القافية، وهو الأسلوب الذي هيمن على أقوال الكهان القدماء، استعمله مدخلا عليه بعض التعديلات، كما انه استعان بصحابته المدونين في ذلك، حين أملى مطلع سورة المؤمنون على عبد الله بن أبي سرح الذي كان يستخدمه أحيانا ككاتب للوحي، والذي أصيب بالاندهاش في وصف قدرة الله الخالق فصاح:" فتبارك الله

أحسن الخالقين" فأمره النبي بأن يكتبها لأنها هكذا نزلت، أي أن كلمات عبد الله بدت لمحمد ملائمة فاتخذها في هذا الموضع ارتجالا.

(3). الأحرف السبعة

تطرق تيودور الى موضوع الأحرف السبعة التي جاء بها القران واعتبر ضربا من العبث القول بأن المقصود هو سبع لهجات، لأن القبائل كانت متقاربة، فلربما كان المقصود المواضيع السبعة كالقصص والتشريع والتحريم ...أو المعاني السبعة كالظاهر و الباطن والمؤول ...ويمكن اعتبار لا قيمة للرقم سبعة ويمكن أن يشير لعدد مجهول، ثم صرح انه من الصعب على النبي حفظ كل آيات القران فجعل القراءات لسقوط أو إضافة شيء حفظه الصحابة.

وأشار الى أن المنسوخ يختلف عما غيره محمد، وهو يقارب الفكرة المسيحية القائلة بنسخ الشريعة اليهودية بواسطة الإنجيل، واعتبر منسوخا الآيات التي نسخت نصا وبقيت حكما، أو التي نسخت حكما وبقيت نصا، والتي نسخت نصا وحكما معا بالإضافة إلى كل ما ضاع قسرا عن إرادة النبي أو أهمل سهوا فلم يضم إلى جمع القران الذي قام به خلفاؤه، وكذا الآيات التي فقدت فائدتها العملية بفقدان الداعي إليها (الآيات التي طلب فيها من محمد تحمل الاهانات بصبر والآيات التي تحكي تبدل أحواله تماما فلم يعد ممكنا الحديث عن سريان فعلي لها.)

